

تفريغ المحاضرة (6)

من سلسلة لقاءات فتح المجيد في بيان خطورة الشرك
وأهمية العناية بالتوحيد

محاضرة علمية بعنوان

شرح حديث معاذ رضي الله عنه أتدري ما حق الله على العباد

لفضيلة الشيخ

أسعد الزُّعْتَرِي

حفظه الله

وجهت لدار الحديث سبل السلام
بمدينة خنيفرة بالمملكة المغربية حرسها الله
الجمعة 28 جمادى الأولى عام 1441

تفريغ المحاضرة (٩) من:

﴿ سلسلة لقاءات فتح المجيد في بيان خطورة الشرك وأهمية العناية بالتوحيد ﴾

محاضرة عامة بعنوان:

شَيْخُ حَلِيبُثٍ مَعَاذَ رَضِيِّ عَنْهُ

”أَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَاد“

لفضيلة الشيخ الدكتور

أَسْعَدُ الزَّعَّتَرِيِّ

- حفظه الله -

وجهت لدار الحديث ببل السلام

بمدينة خنيفة بالمملكة المغربية

عرسها الله راع ورعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد،

فإني أحمد الله عز وجل أن وفقنا لسلوك طريق الهدى، طريق السلف الصالح الذي لا يزيغ عنه إلا هالك وأطلب منه سبحانه العون والمدد وأستعينه على نيل رضاه، وأستمد لطفه في ما قضاه سبحانه.

فحديثنا اليوم أيها الأحبة الكرام عن حديث عظيم قد أخرجه أئمة الحديث منهم الشيخان الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما، وهذا الحديث هو عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ:

«كُنْتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي

مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟

قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا

قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟

قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَكَلَّمُوا»⁽¹⁾.

هذا الحديث هو حديث جليل ويعد أصلا من الأصول التي يُرتكز عليها في الدعوة إلى الله تعالى، وهذا الحديث هو أول حديث أورده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كتابه القيم: "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد"، وذلك لأنه حديث عظيم فيه خلاصة أساس دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أقوامهم، لاشتماله على أعظم حقٍ لله على عباده ألا وهو تحقيق التوحيد الذي هو: إفراد الله تعالى بأنواع العبادة كلها والبراءة من كل معبود سواه والبراءة من كل وسيلة قد تؤدي للوقوع في الشرك، ولأجل هذا الحق خلق الله الخلق وأنزل الكتب وأرسل الرسل، هذا الحق أيها الأحبة هو وصية نبينا محمد ﷺ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه:

من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ۖ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَزَرُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطْنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ۖ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ

(1) أخرجه البخاري (١٢٨) و (١٢٩) و (٢٨٥٦) و (٥٩٦٧) و (٦٢٦٧) و (٦٥٠٠) ومسلم (٣٠).

وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۚ
وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ
وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴿[الأنعام : 151-153].

والمقصود من هذا الحديث بيان وجوب تحقيق التوحيد على العباد وبيان الفضل
المرتب على من حقق ذلك، فهذا الحق العظيم الذي هو حق الله الخالق الرازق
المدير على عباده يجب أن يكون أولى الأولويات، يجب الحرص على العناية بهذا
الحق غاية الحرص، اجعله أيها المسلم نصب عينيك لا يغيب عنك طرفة عين
اجعل هذا الحق هو همك وشغلك الشاغل لا تجد عنه لحظة ولا تبتعد عنه أدنى
خطوة. هذا الأمر (تحقيق التوحيد) يحتاج إلى مجاهدة من العبد، لذلك جعل
البخاري رحمه الله هذا الحديث تحت باب من جاهد نفسه في طاعة الله.

فجاهد نفسك أيها المسلم بتحقيق التوحيد، حياتك حركاتك وسكناتك
وقيامك وجلوسك وسعيك لا بد أن تكون الغاية منه تحقيق مرضاة الله تعالى
لأنك ما خلقت إلا من أجل تحقيق هذا الحق وهو عبادة الله وحده لا شريك
له. ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ
وَبَذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام 162-163].

فإذن حق الله تعالى أيها الإخوة هو توحيده، يعني هو الغاية المحمودة لله سبحانه
وتعالى التي خلق الخلق لها كما قال سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات 56].

ولابد أن نُعلِّم ونُفهِم الناس هذا الأمر ونقول لهم إن التوحيد هو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن أجله بعثهم الله إلى أُمَمِهِمْ كما قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل 36].

وقال أيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء 25].

والتوحيد أيضا هو أول أمر في القرآن. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة 21].

ومن هنا يجب على الناس أن يعلموا أن أول واجب على المكلف هو تحقيق التوحيد كما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن "قال له فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله" وفي لفظ "إلى أن يوحدوا الله" وفي لفظ "إلى شهادة أن لا إله إلا الله". ولابد أيضا أن يكون معلوما لدينا أن التوحيد كما أنه أول واجب على المكلف أيضا ينبغي أن يكون التوحيد هو آخر ما يموت عليه الإنسان، آخر ما يَحْتَم حياته به. قد قال عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»⁽²⁾.

(2) رواه أبوداود (٣١١٦) وصححه الألباني في "مشكاة المصابيح" (١٦٢١).

فلا بد أن يعلم الناس حقيقة التوحيد وأنه أول واجب وآخر ما يجب أن يموت عليه الإنسان.

وأغلب آيات القرآن جاءت في تأكيد التوحيد والنهي عن الشرك بالله سبحانه وتعالى. والتوحيد هو الذي أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقاتل الناس عليه وعلى ما يستلزمه كما قال عليه الصلاة والسلام: **«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»** (3) متفق عليه.

هذا هو الحق الذي يجب على كل مكلف أن يفهمه.

نعود إلى أول الحديث قال معاذ رضي الله عنه: "كنت ردف رسول الله ﷺ على حمارة"، وهذا فيه بيان شدة حرص الصحابة رضي الله عنهم على ملازمة النبي ﷺ والأخذ عنه وتلقي التعاليم النبوية منه. فمعاذ رضي الله عنه كان رديف النبي عليه الصلاة والسلام وهنا كان ملازما له، لأجل ماذا؟ لأجل تحصيل العلم والفقهاء في الدين، وهكذا على طالب العلم أن يحرص على ملازمة دروس العلماء وحلق العلم إن تيسر له ذلك، وإن لم يتيسر له ذلك، فله أن يسلك الطرق الأخرى المتيسرة، بأن يعتكف على سماع دروسهم، والقراءة في كتبهم، وأن ينهل من علومهم حتى ييسر الله عز وجل له الرحلة إليهم، والوصول إلى ديار العلماء، لكي يأخذ عنهم ما تيسر له من العلوم الشرعية.

(3) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم غاية في الحرص على تلقي العلم وتحصيله. لأن بالعلم الصحيح يعبد الإنسان ربه على بصيرة وبه ينال رضى الله سبحانه وتعالى. فمعاذ رضي الله عنه كان من أشد الصحابة حرصا على ملازمة النبي ﷺ، لذلك نجد أنه حاز علوما وفيرة عنه عليه الصلاة والسلام، وكان بعد ذلك من كبار سادات الصحابة الذين نشروا العلم والهدى والنور للناس.

هنا في هذا الحديث كان مع النبي عليه الصلاة والسلام فقال له عليه الصلاة والسلام: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟».

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

النبي عليه الصلاة والسلام أخرج هنا السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس (في نفس معاذ وفي نفس التابعين بعد ذلك) وهذا الأسلوب هو أبلغ في الفهم. والمعلم الحاذق يستخدم في الغالب الأسلوب الذي يستدعي انتباه المتعلمين. والنبي عليه الصلاة والسلام هو معلم البشرية وأكمل الناس حرصا على تعليم الناس الخير، لذلك كان يستخدم أكثر من أسلوب لتعليم الناس، قد استخدم أساليب كثيرة، استخدم أسلوب القصص والتذكير بحال السابقين كما في أحاديث حَبَّاب بن الأرت المعروف. واستخدم أيضا أسلوب الموعظة كما في حديث العرباض بن سارية المعروف. واستخدم أسلوب ضرب الأمثال كما في قوله عن المجلس الصالح والمجلس السوء. واستخدم أيضا أسلوب الترغيب والترهيب. وأسلوب التعليم بالحوار والمناقشة. واستخدم أسلوب التشويق وعرض العلم على طريقة السؤال الذي فيه شد انتباه السامع كما في هذا الحديث الذي معنا.

قال "كنت ردف رسول الله ﷺ على حمارة"، وهذا فيه تواضعه عليه الصلاة والسلام بركوب الحمار مع الإرداف عليه، فالنبي عليه الصلاة والسلام أشرف الخلق مكانة وجاها ومع ذلك هو أشد الناس تواضعا حيث ركب الحمار وأردف عليه وهذا غاية في التواضع. ولو شاء عليه الصلاة والسلام لركب ما أراد ولا منقصة في ذلك، لكنه عليه الصلاة والسلام كان دائما مثلاً في التواضع لله سبحانه وتعالى.

قال: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟»

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قوله هنا: "الله ورسوله أعلم" فيه حسن الأدب من المتعلم وأنه ينبغي لمن سئل عن ما لا يعلم أن يقول ذلك بخلاف أكثر المتكلمين ممن تجرأ على دين الله. تجدهم عندما يُسألون عن مسائل مهمة عظيمة كبيرة، يسارعون في الفتيا ويستهيئون بها دون علم ولا مخافة من الله سبحانه وتعالى، يتجرؤون على الفتيا وهم ليسوا بأهل لها، فعلينا أن نتعلم بعض الأدب الرفيع من معاذ رضي الله عنه حيث سئل عن ما لا يعلم فأجاب فقال: الله ورسوله أعلم.

وقول هذه العبارة: "الله ورسوله أعلم" - التي فيها عطف "رسول الله" على "الله" بالواو - جائز لأنه قد أقره على ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ولم ينكر عليه، ولا تعارض بين هذا وبين إنكار النبي عليه الصلاة والسلام على الخطيب الذي قال "ما شاء الله وشئت"، فقال عليه السلام: "جعلني الله نداً؟ ما شاء

الله وحده". فالجمع بينهما أن يقال: إن الرسول عليه الصلاة والسلام عنده من العلوم الشرعية ما ليس عند القائل، ولهذا لم ينكر الرسول عليه الصلاة والسلام على معاذ رضي الله عنه. بخلاف العلوم الكونية القدرية فالرسول عليه الصلاة والسلام ليس عنده علم منها، فلو قيل: هل يحرم صوم العيدين؟ جاز أن تقول: "الله ورسوله أعلم". ولهذا كان الصحابة إذا أشكلت عليهم المسائل ذهبوا إلى رسول الله ﷺ فيبينها لهم، لكن لو قيل: هل يتوقع نزول المطر مثلاً غداً أوفي هذا الشهر؟ لم يجز أن نقول: "الله ورسوله أعلم" لأن ذلك من العلوم الكونية المختص بعلمها الله سبحانه وتعالى، فنقول فقط: "الله أعلم".

قال: «فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً».

حق الله على العباد: هو ما يستحقه عليهم، حق الله على العباد كما قال أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، هذا كلام بالغ في الأهمية فمن أشرك بالله شيئاً فقد ضيع هذا الحق (حق الله عليه) واستحق الغضب والعقوبة الدائمة التي لا يغفرها الله عز وجل لمن مات عليها، فلا بد أن نفهم ما هو حق الله علينا، لا بد أن نعرف هذا الأمر وأن نفقه معناه، وهو أنه لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى فلا يجوز صرف شيء من العبادات والطاعات إلا إلى الله تعالى ولا يُتَقَى غيره ولا يخاف غيره ولا يتوكل على غيره ولا يدعى غيره ولا يصلى لغيره ولا يصام لغيره ولا يتصدق إلا له ولا يُحْجُّ إلا لبيته، لا بد أن نفهم هذا الأمر.

وهنا تنبيه مهم في قوله عليه الصلاة والسلام: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"، فلم يكتف بذكر "العبادة". بل نبّه على وجوب اجتناب ما يناقضها، لذلك قال: "أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً".

فليس المطلوب فقط "العبادة" لأن الكفار كانوا يصرفون شيئاً من العبادة لله لكنهم يشركون معه غيره، ولذلك لا بد من عبادة الله تعالى مع عدم إشراك غيره معه، ولهذا سُمِّيَ حقاً لأنه حتمٌ لازم واجب على العبد اتجاه ربه جل وعلا.

فكثير من المسلمين اليوم مع الأسف لعدم فهمهم لحق الله تعالى عليهم، تجدهم يعبدون الله ويقولون كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" وهم يشركون معه غيره، فهذا لن ينفعهم، فهم فهموا الإثبات (يعني العبادة) ولم يفهموا النفي (يعني البعد عن الشرك) أو فهموا الولاء ولم يفهموا البراء، فكلمة التوحيد قائمة على الولاء والبراء، قائمة على الإثبات والنفي، فلا ولاء إلا ببراء ولا توحيد إلا بترك الشرك والبراء منه. فأنت أيها المسلم تعبد الله وتصلي وتصوم وتحج، لكنك تقع في الشرك تقع في الاستغاثة بالأولياء والأضرحة، والاستغاثة بالصالحين بدعائهم والتوجه إليهم، والذهاب إلى السحرة والعرفان، قلبك متعلق بغير الله...، فلا ينفعك حينئذ توحيدك إلا إذا تبرأت من كل وسيلة توقعك في الشرك، لا ينفعك توحيدك إذا أتيت بما يناقضه، فلا بد من فهم هذا الركن، وهو أنك يجب أن تعمل بمقتضى التوحيد، ومقتضى التوحيد يستلزم عدم الوقوع فيما يناقضه، فلا بد أن نفقه هذه الكلمة العظيمة أن نفقه "لا إله إلا الله" وأن نعمل بشروطها، وفي نفس الوقت نحذر ونجتنب نواقضها.

لكي يكون إسلامك أيها العبد مقبولا عند الله حتى يكون إيمانك صحيحا،
لا بد من الكفر بالطاغوت كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة 256].

فلا بد أن نفقه معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأنها تتضمن ترك الشرك لمن قالها
بصدق ويقين وإخلاص ولزمها ومات عليها.

ثم قال: «**وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا**».

وحق العباد على الله معناه ما وعد الله عباده الموحدين، وهو الفضل المترتب
على من يحقق التوحيد بأن الله تعالى لا يعذبه. فبالتوحيد الخالص تُغفر الذنوب
التي هي دون الشرك بإذن الله تعالى. وهذا يدل على فضل التوحيد وأن من
حققه دخل الجنة بغير حساب، وهذا "الحق" أعني "حق العباد على الله" هو
استحقاق إنعام وفضل من الله تعالى، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق
المخلوق على المخلوق وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[الروم 47].

فهو سبحانه الذي كتب على نفسه الرحمة وأوجب على نفسه هذا الحق ولم
يوجبه عليه مخلوق أبدا. خلافا للمعتزلة الذين يدّعون أنه واجب على الله أو
يوجبون على الله سبحانه وتعالى أن يُثيب المطيع وأن يُعذب العاصي لأنهم
يقيسون الله على المخلوق والعياذ بالله، فقولهم ضلال واعتقادهم باطل في باب
القدر كما هو معروف.

ثم قال بعد ذلك -وبعد أن فهم معاذ رضي الله عنه حق الله تعالى على عباده وفهم الفضل المترتب على ذلك قال:

قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ (بهذا العلم أفلا أبشركم بهذا الفضل) هذه بشارة عظيمة يعني يستحق أن نبشر بها الناس.

فقال عليه الصلاة والسلام: **«لا تبشركم فيتكلموا»**.

يعني أن لا يتكلموا على مجرد التوحيد ويقعوا في المعاصي وأن لا يقصروا في مقتضى لا إله إلا الله، ثم إن معاذاً امثال لهذا الأمر لكنه ذكر ذلك في آخر حياته، ذكر هذا الحديث تخرجاً من الإثم وكتم العلم.

والنبي عليه الصلاة والسلام قد بين أيضاً هذا المعنى في أحاديث أخرى، بين ذلك لأئمة وحذرهم من الاتكال وأنه لابد مع التوحيد أن يأتي الإنسان بحق الإسلام ويأتي بالعمل كما في الحديث الذي ذكرناه في أول الكلام: **«أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة»**⁽⁴⁾. لابد أيضاً من العمل مع التوحيد فإذا فعلوا ذلك عُصمت دماؤهم. ولهذا لما ارتد من ارتد من العرب وامتنعوا من أداء الزكاة في عهد الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ قاتلهم وقال: **«لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ -من حق لا إله إلا الله- وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَقَلاً كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ»**⁽⁵⁾

(4) سبق تخريجه ص: 5.

(5) أخرجه البخاري (١٤٥٦)، ومسلم واللفظ له (٢٠).

وقاتلهم هو والصحابة حتى خضعوا للحق ودخلوا في دين الله وأدّوا الزكاة والتزموا بأمر الله سبحانه وتعالى.

فمن مات على التوحيد وعلى الإيمان والإخلاص وعنده بعض المعاصي يكون تحت المشيئة قد يُغفر له وقد يُعذب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء 48].

فإذا مات وعنده كبائر من عقوبٍ ونحو ذلك من الكبائر فهي تحت المشيئة إذا مات ولم يتب منها، لكن إن تاب منها، تاب الله عز وجل عليه، ومن مات على هذه الكبائر ولم يتب منها فهو إن شاء الله "تحت شفاعة النبي ﷺ" أو يتغمده الله برحمته أو إن شاء عذبه لكن لا يُخلد في النار، كثير من العصاة ممن قُدر لهم العذاب لا يُخلدون في النار قد يخرجون منها قبل أن يُقضى ما عليهم، وقد يُمنعون من دخول النار ابتداءً كما دلت النصوص على ذلك.

الشاهد من هذا أنه يجب علينا أن نعني بهذا الحق العظيم (حق الله علينا) وأن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على تحقيق هذا الأمر وأن يتجاوز عن تقصيرنا وأن يوفقنا لأن نموت ونحن محققين لهذا التوحيد ونحن مجتنبين للشرك بجميع أنواعه وبجميع مراتبه وصوره، لأن المهم أن يموت الإنسان وهو لا يشرك بالله شيئاً، سواء الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر، لأن الشرك الأصغر على الصحيح لا يغفره الله سبحانه وتعالى، ونحن نتنبه لمسألة الشرك الأصغر، قد يتنبه الإنسان لمسائل الشرك الأكبر ولا يقع فيها، لكنك تجده واقعا في الشرك

الأصغر لأنه خفي ودقيق، وقد حذر الرسول ﷺ أمة من هذا النوع من الشرك وخافه على سادات الصحابة، فعلينا دائما وأبداً أن نسأل الله أن يُبصِّرنا بصور الشرك الخفي وصور الشرك الأصغر، ولا مانع من أن يجدد الإنسان دائماً إيمانه وتوحيد وأن يختتم يومه بتجديدٍ لإسلامه، لأنه إذا مات من ليلته يموت إن شاء على التوحيد ويكون ممن مات وهو لا يشرك بالله شيئاً.

فهذا حديث عظيم فيه بشارة عظيمة لمن حقق التوحيد من هذه الأمة. فعلينا أن نسعى دائماً جاهدين إلى تحقيق التوحيد وأن لا نتكل عليه، إنما نسعى دائماً ونعمل بجدٍ وإخلاص على تحقيق هذا التوحيد وعلى الامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى لكي ننال رضى الله سبحانه وتعالى وأن نموت وهو راض عنا.

فأسأل الله أن ينفع بما نقول وأن نكون ممن إذا قال القول امتثله وقام به على الوجه الذي يُرضي ربنا سبحانه وتعالى.

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.